4) يمكن أن توضع علامات الشكل (إشارات الحركات أو السكون) فوق جميع الحروف التي تمثل الأصوات الصامتة بما فيها الواو والياء.

5) لا يمكن أن توضع علامات الشكل (اشارات الحركات أو السكون) فوق جميع الحروف التي تمثل الأصوات الصائتة غير القصيرة (المدات)، بل توضع قبل كل حرف مد الحركة التي تناسبه فقط (الفتحة قبل الألف المدة، والكسرة قبل الياء المدة والضمة قبل الواو المدة).

يظهر من استعراض هذه المبادئ **أن الكتابة العربية ليست مقطعية، كما أنها في الوقت نفسه ليست أبجدية تماما. إنها نمط خاص من الكتابة** يدوّن جميع الأصوات الصامتة عن طريق تخصيص إشارة (حرف) لكل صوت صامت من ناحية، ومن ناحية أخرى يدوّن الاصوات الصائتة غير القصيرة (المدات) عن طريق تخصيص إشارة (حرف) للألف المدة وعن طريق اشتراك الياء المدة والواو المدة في الحرفين (ي) و(و) الموضوعين أصلا للياء الصامتة والواو الصامتة. أما الأصوات الصائتة القصيرة (الحركات)، فقد خصصت لكل منها اشارة. كما خصصت اشارة السكون المعروفة لتفيد عدم حركة الصوت الصامت. ولا توضع علامات الشكل (اشارات الحركات أو السكون) عادة إلا حين خشية اللبس.

وفي ضوء ذلك نفهم لماذا اتفق علماء العربية على أن عدد الحروف في العربية تسعة وعشرون حرفا هي جميع حروف الابجدية مضافا إليها (لا) التي تمثل الألف المدة (واللام حاملة لها)، ونفهم لماذا بحثوا بشكل منفصل في الألف المدة ولم يبحثوا في الياء المدة والياء غير المدة، أو في الواو المدة والواو غير المدة.

ثانيا: الساكن والمتحرك في علم اللغة العربية:

بما أن علماء العربية استخدموا مصطلح (الحرف) للدلالة على شكل الكتابة وللاشارة إلى الصوت. فقد اضطروا إلى عدم دراسة الأصوات (الحروف) من حيث تقسيمها إلى صامتة وصائتة، لذا درسوها من حيث مخارجها ومن حيث تقسيمها إلى ساكنة ومتحركة. ولا يعني ذلك أن علماء العربية جهلوا الفرق بين الصامت والصائت. وقد بيّنت في مقالة «الدراسات الصوتية في التراث اللغوي العربي»[3] أن علماء العربية لم يخلطوا بين الصامت والصائت وفرقوا بينهما بدقة.

يرى علم اللسان الحديث أن الأصوات الصامتة وحدها يمكن أن توصف بأنها ساكنة أو متحركة. أما الأصوات الصائتة (سواء أكانت قصيرة أي حركات أم غير قصيرة أي مدات) فلا يمكن – بحكم طبيعتها – وصفها بأنها ساكنة أو متحركة. ويبرز بهذا الصدد الاشكال التالي: **توصف المدات الثلاث (الألف والياء والواو) في علم العربية بأنها سواكن. فهل يعني ذلك أن جميع علماء العربية أخطأوا؟ أم أنهم – حين استعملوا مصطلح (ساكن) لدى وصف حروف المد – كانوا يقصدون به معنى آخر؟!**

أجبت عن هذا السؤال في مقالة «الدراسات الصوتية وأكتفي هنا بايراد **النتيجة** التي توصلت إليها والتي تؤكد أن **وصف حروف المد في علوم العربية بأنها سواكن يقصد به الإشارة إلى أن اشباع لفظ حركة المتحرك يشبه السكون من حيث أن الاشباع كالسكون لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي جديد، بل يؤدي فقط إلى تغيير وصف المقطع.** ويعني ذلك أن علماء العربية، حين وصفوا المدات الثلاث بأنها سواكن، قصدوا الاشارة إلى أنها صائتة غير قصيرة لأنها تظهر نتيجة اشباع الحركة المناسبة لكل منها. كما يعني أنهم حين قالوا إن المدات تتحرك، قصدوا الاشارة إلى ما يقابلها من أصوات صامتة. ويؤكد ذلك أنهم اضطروا إلى القول إن الألف المدة إذا تحركت قلبت همزة. والسبب في ذلك أن الواو المتحركة هي صوت صامت، وكذلك الياء المتحركة هي صوت صامت، بينما لاتوجد ألف متحركة وأقرب الصوامت المتحركة إليها هي الهمزة. ولعل من المفيد أن نذكّر بأن قواعد الشكل في العربية تقضي بوضع علامة الحركة المناسبة للمدة قبل

(3) المنشورة في مجلة «المعرفة» بدمشق – العدد 234 / آب 1981

المدات الثلاث وتحظر وضع علامة السكون فوق المدات . هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى لا تكون الياء والواو حرفي (صوتي) مد إذا لم يتسبقا بحركة مناسبة لكل منهما ، بل تكونان صوتين صامتين كبقية الأصوات الصامتة . ويمكن بالتالي أن نكتب فوقهما علامات الشكل (اشارات الحركات أو السكون) كما في (بيْت ، قَوْم ، يد ، ولدان ...) .

لقد وصف ابن جني ميزان العروض بأنه «عيار الحس وحاكم القسمة والوضع»[4] ولعل من المفيد هنا الرجوع إلى ميزان العروض لبيان أن وصف حروف المد في علوم العربية بأنها سواكن يقصد به الاشارة إلى أن اشباع لفظ حركة المتحرك يشبه السكون من حيث أن الاشباع كالسكون لا يؤدي إلى ظهور مقطع صوتي جديد ، بل يؤدي فقط إلى تغيير وصف المقطع .

وضع الخليل بن أحمد الفراهيدي علم العروض العربي انطلاقا من خصائص النظام الصوتي للعربية التي تتجلّى في أن الصوت الصامت المتحرك يمثل مقطعا صوتيا ثنائيا ، وتتجلّى أيضا في أن الحركة ليس لها وجود منفصل عن صوت صامت يلفظ قبلها ويتصل بها . فعمد الخليل لدَى تحديد أوزان البحور إلى التميز بين المتحرك (الذي يمثل مقطعا صوتيا) وغير المتحرك (الذي لا يمثل مقطعا صوتيا) . فاستطاع بذلك أن يحدد الأسباب والأوتاد والفواصل التي تتركب منها الأوزان والتي أجملوها في قولهم (لم أر على ظهر جبلن سمكتن) .

وسنعمد فيما يلي إلى تحليل الأسباب والأوتاد والفواصل إلى المقاطع الصوتية التي تتألف منها :

1) السبب الخفيف (ـ 0) لم : قصير مغلق (قصير مفتوح + صامت ساكن) .
2) السبب الثقيل (ـ / ـ) أر : قصير مفتوح + قصير مفتوح .
3) الوتد المجموع (ـ / ـ 0) على : قصير مفتوح + طويل مفتوح (قصير مفتوح + اشباع)
4) الوتد المفروق (ـ 0 / ـ) ظهر : قصير مغلق (قصير مفتوح + صامت ساكن) + قصير مفتوح .
5) الفاصلة الصغرَى (ـ / ـ / ـ 0) جبلن : قصير مفتوح + قصير مفتوح + قصير مغلق (قصير مفتوح + صامت ساكن)
6) الفاصلة الكبرَى (ـ / ـ / ـ / ـ 0) سمكتن : قصير مفتوح + قصير مفتوح + قصير مفتوح + قصير مغلق (قصير مفتوح + صامت ساكن) .

وبعد تحليل المقاطع الصوتية التي تتألف منها الأسباب والأوتاد والفواصل ، يتبين لنا أن الصوت الصامت غير المتحرك (الساكن) لا يمكن لفظه إلا في نهاية مقطع صوتي قصير مفتوح (أي بعد متحرك) ويؤدي إلى تغيير وصف المقطع الصوتي باغلاقه بعد أن كان مفتوحا ، مما يسمح بتمييزه في اللفظ عن بقية المقاطع القصيرة المفتوحة (أي عن بقية المتحركات) . كما أن اشباع الحركات (الفتحة والكسرة والضمة) ـ الذي ينجم عنه لفظ تلك الحركات ألفا وياء وواوا مدات ـ يؤدي كذلك إلى تغيير وصف المقطع الصوتي القصير المفتوح بجعله طويلا ، مما يسمح بتمييزه في اللفظ عن بقية المقاطع القصيرة المفتوحة (أي عن بقية المتحركات) .

وهكذا يتبين أن لفظ صوت صامت ساكنا بعد متحرك وكذلك اشباع لفظ حركة المتحرك يؤديان إلى تمييز هذين المتحركين عن بقية المتحركات . وينجم عن ذلك اختلاف في التفعيلات التي تتميز بها الأوزان . لذا يبدو لفظ الصوت الصامت ساكنا بعد متحرك مماثلا لاشباع لفظ حركة المتحرك في تفعيلات العروض من حيث أن كلا منهما يمثل توقفا (سكونا) بعد متحرك . فيشار إليهما بالعلامة (0) ، في حين يشار إلى المتحرك بالعلامة (ـ) .

لقد حددنا ـ في هذه المقالة وفي مقالة «الصوامت والصوائت في العربية» ـ بعض خصائص النظام الصوتي للعربية ، وبيّنا كيف انعكست في نظام الكتابة العربية . وسنعمد في المقالة التالية بعنوان «نظرة جديدة إلى المعجم العربي» إلى بيان كيف انعكست خصائص نظام أصوات العربية وكتابتها في نظام المعجم العربي .

(4) «الخصائص» حققه محمد علي النجار ، دار الهدَى ـ بيروت ـ جـ 1 / ص 88

اللهجات العامية.. لماذا ؟ وإلى أين ؟

بقلم : د. حسني محمود
جامعة اليرموك ــ الأردن

كلمة أولية :

لو كان الانسان يستطيع أن يحيا حياة غير اجتماعية ، فهل كان سيحتاج إلى اللغة يتوسل بها إلى شيء ما ؟ لو كانت مثل هذه الحياة هي قدر هذا المخلوق ، فلربما كان يكفيه بعض التصرفات البدائية أو الوسائل التعبيرية البسيطة يتوسل بها للإفصاح عن مواقفه تجاه الطبيعة مثلاً في حالات مثل الخوف أو الدهشة أو الاعجاب . ولكن هل كان هذا المخلوق في مثل هذه الحال سيحمل صفات الانسان التي نعرفها أو حتّى مجرد تسمية انسان ؟ وفي حال مثل هذه الفرضية المستحيلة لمَ سيحتاج إلى اللغة ؟ وما هي ضرورتها بالنسبة إليه ؟ إنه حتّى أنواع الحيوان والحشرات التي تعيش في جماعات تحتاج إلى وسائل تتوسل بوساطتها إلى التفاهم والعيش في حدود حياتها التي تحياها . ولما لم تكن حياة الانسان بسيطة أو هينة . فقد اقتضت أن تكون لغته في مستوى هذه الحياة : محدودة بمحدوديتها وبساطتها ، أو غنية سامية بسموها وتعقدها ... مادياً ومعنوياً .

ولغة الأمة هي وعاء فكرها وعواطفها عبر العصور . ولما كان ذاك الفكر وهذه العاطفة عرضة للتغيير والتطور ، فإن اللغة ــ الوعاء تخضع ، بدورها ، لهذا التطور وذاك التغيير .. تتطور مع أهلها في الحالات الحياتية الانسانية التي تمر بها الجماعة . ومن هنا ، فإن اللغة «ظاهرة اجتماعية تقتضيها حاجة الانسان إلى التفاهم مع ابناء جنسه» . ومن هنا أيضا ، فإن «أهم المؤثرات في مختلف ظواهر اللغة ترجع إلى أمور تتعلق بالحياة الاجتماعية ونظم العمران»[1] . ويعتبر أحمد أمين اللغة نظاماً اجتماعياً كالدين والحكومة ، يخضع لتأثير الزمان والمكان[2] .

وحقيقة اللغة «أنها مجموعة من الأصوات الانسانية العديدة تصدر عن جهاز خاص مكون من أجزاء متفاوتة ومن عدد من الأحبال الصوتية ، ثم تتألف هذه

(1) علي عبد الواحد وافي ــ علم اللغة (دار نهضة مصر للطبع والنشر ــ القاهرة . ط 7 ــ د. ت. ظهرت الطبعة الأولى حوالي سنة 1940) : 267 . انظر كذلك حسن عون ــ دراسات في اللغة والنحو العربي (معهد البحوث والدراسات العربية ــ القاهرة ــ 1969) : 7 .

(2) انظر ما كتبه في تصدير كتاب «العربية ــ دراسات في اللغة واللهجات والأساليب» تأليف يوهان فك ــ ترجمة عبد الحليم النجار (مطبعة دار الكتاب العربي ــ القاهرة 1370هـ ــ 1951م) الصفحة الأولى من التصدير . وانظر كذلك «اللغة العربية عبر القرون» ــ محمود حجازي (القاهرة ــ دار الكتاب العربي ــ المكتبة الثقافية رقم 197 سنة 1968) : 7 ــ 8 .

الأصوات فيما بينها ليتكون منها مجموعات مختلفة ، كل واحدة منها تؤدي معنى من المعاني الكثيرة»[3] . وعلى هذا الأساس ، فاللغة «نظام تعبيري صوتي استقر عليه العرف والاستعمال في عصر معين وبين جماعة أو طائفة معينة يمكن بواسطته التفاهم بين أفراد هذه الجماعة الذين يبلغون مستوى عادياً من الادراك»[4] . ولما كانت اللغة تشمل «كل ما قاله أو يقوله أو سيقوله أي فرد من أفراد جماعة لغوية ما»[5] ، فإنها تشكل الاطار الاجتماعي لكلام الفرد الذي يتم في إحدى صورتين : - إما بالنطق وإما بالكتابة[6] .

ونحن في هذا البحث لا نود الخوض في مناقشة قضية اللغة من حيث هي توقيف[7] أم ظاهرة اجتماعية يتواضع عليها المجتمع ، فقد انتهى الرأي العلمي الحديث إلى الحقائق التي ذكرناها ، إذ تعد اللغات أصدق سجل لتاريخ الشعوب ، حيث أن كل تغير يحدث في ناحية من النواحي يتردد صداه في أداة التعبير.. «فبالوقوف على المراحل التي اجتازتها لغة ما ، وفي ضوء خصائصها في كل مرحلة منها ، يمكن استخلاص الادوار التي مر بها أهلها في مختلف مظاهر حياتهم»[8] . وباعتبار اللغة نظاماً تركيبياً يؤدي ادواراً وظيفية في جماعة معينة ، وباعتبارها ظاهرة انسانية متطورة ، فإن الدراسات اللغوية (تكشف عن ميكانيكية النشاط النفسي في الفرد أولاً ثم ما يفرضه المجتمع على هذا النشاط النفسي الفردي من قواعد سلوكية اجتماعية ، كما تغطي جانباً هاماً من دراسة التطور الانساني وتقدم صورة لتطور النشاط العقلي من مكتسبات دلالية ونظم تركيبية ومن دلالات أو تراكيب سقطت من الاستعمال ، قد تساعد معرفته على الكشف عن تطور الحياة العقلية للفرد وللمجتمع معاً)[9] . وما ذلك إلا لأن اللغة ، كما يرى (مالينوفسكي) العالم الانثربولوجي ، ليست «مجرد وسيلة للتفاهم والاتصال ، فهي حلقة في سلسلة النشاط الانساني المنظم ، وانها جزء من السلوك الانساني ، وهي ضرب من العمل ، وليست أداة عاكسة للفكر... وإن مواقف العمل هي التي تعمل في تنويع اللغة ...»[10] . ويبدو أثر ذلك واضحاً في بساطة اللغة ومحدوديتها ، وفي تعقدها وغناها ، كما يبدو فيما ينشعب عنها من لهجات قد تتطور وتستقل ، فتصبح لغات تختلف قليلاً أو كثيراً عن اللغة الأصل .

واللهجة *(Dialect)* في الاصطلاح العلمي الحديث ، هي «مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي إلى بيئة خاصة ، ويشترك في هذه الصفات جميع أفراد هذه البيئة . وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات ، ولكل منها خصائصها ، ولكنها تشترك جميعاً في مجموعة من الظواهر اللغوية التي تيسر اتصال أفراد هذه البيئات بعضهم ببعض وفهم ما قد يدور بينهم من حديث فهماً يتوقف على قدر الرابطة التي تربط بين هذه اللهجات . وتلك البيئة الشاملة التي تتألف من عدة لهجات هي التي اصطلح على تسميتها باللغة»[11] . وما نتعارف اليوم على تسميته (لهجة) ، كان العرب في القديم يطلقون عليه كلمة (لغة) أو كلمة (لحن) ، فلغات القبائل

(3) حسن عون المرجع السابق والصفحة نفسها .

(4) ،(5) عبد الرحمن أيوب – العربية ولهجاتها (معهد البحوث والدراسات العربية – القاهرة 1968) : 23

(6) تمام حسان – اللغة العربية معناها ومبناها (الهيئة المصرية العامة للكتاب – القاهرة 1973) : 46

(7) انظر في ذلك مثلا «المزهر في علوم اللغة وأنواعها» للسيوطي ، شرح وتعليق محمد جاد المولى وزميليه – القاهرة . دون تاريخ .. ج 1 : 8 وما بعدها

وانظر كذلك ابراهيم أنيس – دلالة الألفاظ (القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية – ط 1 ، 1958) : 12 وما بعدها .

(8) علي عبد الواحد وافي – علم اللغة : 257 . انظر أيضاً حسن عون – المرجع السابق : صفحة 7 وما بعدها .

(9) عبد الرحمن أيوب – العربية ولهجاتها : 2 – بتصرف .

(10) ابراهيم السامرائي – التطور اللغوي التاريخي . (القاهرة – معهد البحوث والدراسات العربية – 1966) : 14 . لم يذكر مصدره في ذلك .

(11) ابراهيم أنيس – في اللهجات العربية (القاهرة – مكتبة الانجلو المصرية – ط 3 – 1965) : 16 . ظهرت الطبعة الأولى سنة 1946 .